الهمزة المقحمة ودورها في تشكيل بنية الكلمة
دراسة في القراءات القرآنية

يحيى عبابنة

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة مؤتة، الأردن

ملخص

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن تفسير وجود بعض الهمزات في بعض البنى السطحية لمفردات اللغة العربية، على الرغم من أنها غير موجودة في البنى العميقة لها.

وقد كشف البحث عن الأسباب التي تدعو إلى إقحام هذه الهمزة وعرضها وحلل الأوضاع التي تجعل اللغة تلجأ إلى مثل هذه العملية الصوتية المحضة، وهذه الأسباب هي:

١- تشكل المقطع المرفوض أو المكروه (الطويل المغلق) المكون من صامت ثم حركة طويلة ثم يغلق بصامت مثل (bab) في حالة الوقف.

٢- تقصير الحركات الطويلة: (u, i, a).

٣- التوهم أو القياس الخاطىء False Analogy.

٤- التخلص من الحركات المزدوجة diphthongs.

Abstract

This study aims at offering an account of some glottal stops that occur at the surface structure of some Arabic words, though such glottal stops do not appear in the underlying structure.

The study offers a justification of such occurrence of this type of glottal stop which can be delimited to the following locations, first, the canonical structure of a syllable such as CVC, second, the syncopation of long vowels such as i, u and a, third, fales analogy, fourth, elimination of diphthongs.

التقديم

ما أقصده بدءاً بمصطلح الهمزة المقحمة هو تلك الهمزة التي لا تكون موجودة في البنى العميقة لبعض الأنماط التي وصلت إلينا مهموزة في بعض الاستعمالات اللغوية، في بعض المستويات الاستعمالية، سواء في المستوى الفصيح أو في المستويات اللهجية، على الرغم من خلوّ بناها العميقة (الأصل) من وجود صورة صوتية للهمزة، وهذا يعني أن البنية السطحية ستكون مهموزة أحياناً، وغير مهموزة في أحيان أخرى، كما هو في الأصل، أو البنية السطحيّة القياسيّة (الاستعمال الفعلي)، ومع هذا فقد وجد في هذه الكلمة سياق صوتي قد يكون مدعاة للتغيير، وهو توافر مقطع طويل مغلق (ص ح ط ص) مكوّن من صامت وحركة طويلة ويُغْلقُ بصامت، وهذا المقطع مرفوض حيث لا يكون الصامت الأخير منه مشدداً أو حين لا يكون هذا المقطع في حالة الوقف، وإلا فهو مقبول، ولكنه مع هذا القبول قد يكون صعباً، مما يشكل سبباً قوياً لسعي بعض المستويات اللغوية اللهجية للتخلص منه، إذ من الممكن أن تطرأ عليه مجموعة من العمليات الصوتية التي تؤدي في مجملها إلى توليد صيغة جديدة أو استعمال جديد للكلمة تكون الهمزة أحد مكوناته الصوتية، على الرغم من أنها لم تكن مكوناً من المكونات الصامتية للجذر أو الأصل، أي أن النمط الجديد سيكون من كلمة جانّ مثلاً هو: جأنّ، وهي جزء من المستوى اللهجي الذي أجاز العلماء توجيه القراءات القرآنية في مستوياتها المختلفة على أساسها، على اعتبار أنّها أنماط لهجية فصيحة، وإن كانت ليست خاضعة للمعيار الذي عدّه العلماء المعيار القياسي.

والأسباب التي تدعو إلى إقحام هذه الهمزة كثيرة، قامت هذه الدراسة بعرضها وتحليل السبب الذي جعل بعض المستويات الاستعمالية (في بعض اللهجات) تلجأ إلى هذه العملية الصوتية، وهو في الغالب سبب صوتي محض، وقد توصلت الدراسة إلى المظاهر الآتية محاولة تفسيرها:

١- الهمز الناشيء عن المقطع المكروه (المستثقل).

٢- الهمز الناشيء عن تقصير الحركات الطويلة والتعويض عن هذا التقصير.

٣- الهمز الناشيء عن التوهّم.

٤- الهمز الناشيء عن التخلّص من الحركات المزدوجة.

ولهذا النمط الأخير عدد من المظاهر وضّحتها الدراسة، وحاولت الوصول إلى تفسير معقول لوجود هذه الهمزة في البنى السطحية أو الواقع الاستعمالي الفعلي لهذه المستويات اللهجية.

وأشير هنا إلى أمر هامّ يتّصل بالإجابة عن تساؤل مشروع يقول: ما السرّ في ميل بعض اللهجات العربية إلى اختيار الهمزة وسيلة لإغلاق المقطع؟ هذا الأمر هو أنّ الهمز إحدى وسائل النبر؛ فإذا كانت الفصحى، مثلاً، تستخدم أحياناً طول الحركة وسيلة للنبر، فإنّ بعض اللهجات العربية تستخدم في المواضع أنفسها الهمز لهذه الغاية، (أي : النبر)؛ فهو نبر توتّر، في بعض اللهجات، في مقابل نبر الطول في المستوى الفصيح.

وأمّا القضية الثانية التي أرغب في توضيحها، فتتعلّق بعدم الخلط بين المستويات اللهجية التي وُجّهت القراءات القرآنية المختلفة على هدي استعمالها في بيئاتها المختلفة، والمستوى الفصيح الذي اتّخذت العربية ظواهره المختلفة شعاراً لها، إذ إنّ أغلب الأوجه الاستعمالية التي عمدت هذه الدراسة إلى استعمالها في متن هذه الدراسة، كانت تمثّل هذه المستويات التي لم يصل أغلبها إلى أن يكون من ضمن مكوّنات البنية العامّة للغة العربية الفصحى، وفيما يأتي تفصيل هذه المظاهر:

١- الهمز الناشىء عن المقطع المكروه (المستثقل):

يتميز النظام المقطعي للغة العربية بوجود ستة أنواع من المقاطع في أغلب الاجتهادات، وهذه المقاطع هي(١):

١- المقطع القصير المفتوح: يتكوّن هذا المقطع من صامت يكون حدّ ابتداء وحركة قصيرة، مثل بَ: ba وبُ: bu وبِ: bi، وهو كثير في العربية، ولا حرج في استعماله فيها.

٢- المقطع الطويل المفتوح: وهو المقطع الذي يكون حدّ الابتداء فيه صوتاً صحيحاً ونواته حركة طويلة، مثل: با: ba وبُو bu وبِي: bi . وهو مقطع مستعمل في العربية، ولا حرج في استعماله أيضاً.

٣- المقطع القصير المغلق: ويبدأ هذا المقطع بصامت ثم حركة قصيرة ثمّ يغلق بصامت مثل: مَنْ: man وكُن: kun وجِن: gin، وهو أيضاً من المكوّنات المقطعية التي يكثر استعمالها في العربية في مستوياتها المختلفة.

٤- المقطع الطويل المغلق: ولا يختلف من حيث القيم الصوتية عن المقطع السابق إلا في النواة الصائتة، فحركته طويلة، وأما من حيث قبوله في اللغة، فالبون بينهما شاسع جداً، إذ لا يقبل هذا المقطع إلا في حالتين:

١- حالة الوقف عليه في آخر الكلام مثل: bab و dar وما إلى ذلك.

٢-إذا كان حدّ الإغلاق فيه حدّ ابتداء في المقطع الذي يليه (إذا كان الصوت الأخير فيه مشدداً) وذلك نحو: مادّة maddatun. وهذا النوع هو الذي سنبحثه في هذه الجزئية من الدراسة، وسنركّز على ميل اللهجات العربية التي استعملت في القراءات القرآنية المختلفة إلى التخلّص منه.

٥- المقطع القصير المغلق بصامتين: وهذا المقطع لا يجوز إلا في حالة الوقف عليه في آخر الكلام فإذا وصلنا، انتهى من الواقع الصوتي المنطوق، مثل: أخت uht<.

٦- المقطع المديد: وهو مقطع نادر الوجود، ويتكوّن من صامت وحركة طويلة ويغلق بصامتين، ونرمز له بـ(ص ح ح ص ص)، وذلك نحو: جادّ في حالة الوقف: gadd.

إن ما ذكرناه عن المقطع الطويل المغلق، لا يعني أنه إذا توافرت فيه شروط قبوله سيصبح سهل الاستعمال، فهو على الرغم من قبوله في النظام المقطعي العربي مقطع مستثقل في بعض السياقات اللهجية، ويظل معرّضاً لفعل قوانين التطور اللغوي التي ستسعى إلى التخلص منه، ودليل صعوبته أنه لا يستعمل في لغة الشعر على الرغم من توافر شرطي قبوله(٢).

ولهذا فكثيراً ما تلجأ بعض المستويات اللهجية إلى التخلص منه، وما يهمّنا هنا هو تخلصها في بعض الاستعمالات منه عن طريق تقسيم النواة الصائتة الطويلة، إلى حركتين قصيرتين، ثم تُقْحَم الهمزة للفصل بين هاتين الحركتين القصيرتين، لأنه سيتشكّلُ وضعٌ صوتيٌّ لا يقبله النظام المقطعي لبعض المستويات اللهجية، وهو تَشَكُّلُ مقطع يبدأ بحركة، ومن الأمثلة على هذه الطريقة التي أدت إلى إنتاج همزات لم تكن أبداً جزءاً من مكوّنات الكلمة أو ما يسمى الأصول الصامتية للكلمة:

- الضالّين < الضألّين dal/li/na > da/>al/li/na

كما في قوله تعالى :«ولا الضالّين»(٣) فقد جاء عن أيوب السختياني قراءة: الضألّين بالهمز، وقد ذكر ابن جني في توجيه هذه القراءة أن الهمزة فيها بدل المدة لالتقاء الساكنين، فالأصل عنده (الضاللين) فاجتمع فيها حرفان متحركان، وهما اللام المكسورة الأولى واللام المكسورة الثانية، فأسكنت اللام الأولى وأدغمت في الثانية على حسب تعبيره، فالتقى ساكنان: الألف واللام الأولى المدغمة(٤).

والحقيقة أن رأي ابن جني في التقاء الساكنين منطلق من نظرة القدماء إلى الألف والواو والياء المدّيّات (أصوات العلة) على أنها سواكن تأثّراً بطبيعة الخط العربي الذي لم يفرق بين الواو إذا كانت

شبه حركة Semi-vowel والواو المدية (الضمة الطويلة) فوضع لهما رمزاً واحداً، ولما لم يستطع القدماء تحريك أصوات المدّ قرروا أنها ساكنة، ولهذا، فمثل هذا الوضع عندهم التقاء ساكنين.

وأما ما حدث في هذا الموضع فهو مسبّب عن وجود المقطع الطويل المغلق (dal)، وهو هنا جائز بسبب ما ذكرناه من توافر شرط جوازه، وهو أن حدّ الإغلاق (l) مكرر في المقطع الذي يليه (مشدد)، وللتخلص منه فقد قُسمَتْ نواته الصائتة إلى حركتين قصيرتين (a) > a+a، فصارت المقاطع في هذه الكلمة على هذا النحو : da/al/li/na، وكلها مقاطع مقبولة، ما عدا المقطع الثاني (al) الذي بدأ بحركة، وللتخلص من هذا السياق الصوتي غير المقبول، أقحمت الهمزة لتكون حدّ ابتداء للمقطع، فصارت المقاطع على هذا النحو da/>al/li/na، وهي مقاطع مقبولة، وهذا أدّى إلى وجود نمطين مستعملين صحيحين، أحدهما غير مهموز (ضالّين) وهو الأصل، والآخر مهموز (ضألّين)، في بعض اللهجات، ولكن الهمزة فيه طارئة مقحمة.

- اللذانّ: اللذأنّ >al/la/da/>an/ni > >al/la/dan/ni

وهي إحدى حالات تثنية (الذي)(٥) وأما الحالة التي حدثت بفعل كراهة المقطع الطويل المغلق (dan) وأدت إلى توليد مفردة جديدة مهموزة من هذا الأصل غير المهموز، فهي (اللذأنّ)، فقد جاء في قوله تعالى: «واللذان يأتيانهما منكم»(٦) قراءة تروى عن بعض أصحاب الشواذ بالهمز(٧)، أي : اللذأنّ على هذا الذي ذكرنا، وقد تم ذلك على النحو الآتي:

اللذانّ < اللذ ـَـ نّ < اللذأنّ

>al/la/da/>an/ni < (>)al/la/da/*an/ni < (>)al/la/dan/ni

الأصل بعد تقسيم الحركة الطويلة إقحام الهمزة لابتداء المقطع

فقد تشكّل المقطع الطويل المغلق في الحالة الأولى، وهو /dan/ وهو مقطع مقبول على الرغم من استثقاله بسبب توافر شرط من شروط جوازه، وهو التشديد، ولهذا قامت بعض اللهجات في الخطوة الثانية -وهي خطوة نظرية لا تظهر في البنى السطحية، بتقسيم النواة الصائتة إلى نواتين كانت الأولى نواة للذال، وشكلت معها مقطعاً قصيراً مغلقاً، وانضمت الثانية إلى اللام (al) وهو سياق غير مقبول؛ لأنه يمثل ابتداء بالحركة، فأقحمت الهمزة، لابتداء المقطع، فتولّد عن هذا نمط جديد مهموز.

- الجانّ: الجأنّ ga>annun > gan/nun

يتوافر في النمط الأصلي غير المهموز مقطع طويل مغلق (gan)وهو جائز هنا بسبب تكرار حدّ

الاغلاق في المقطع الذي يليه، كما يتبدّى من الكتابة الصوتية، ومع ذلك فهو مكروه مستثقل، وعرضة لأن تتخلص منه بعض المستويات اللهجية، ففي قوله تعالى: ﴿والجانّ خلقناه﴾(٨) قرأ عمرو بن عبيد والحسن البصري وأبو السمال العدوي بهمزة بدل الألف(٩)، كما قرأ عمرو بن عبيد مثل هذا في سورة الرحمن(١٠). وقد تم الأمر في هذه الكلمة على النحو السابق، كما في هذا المخطط الصوتي:

جانّ < جـ ـَ ـَ نّ < جأنّ

ga/>an/nun < ga/*an/nun < gannun

الأصل بعد تقسيم الحركة الطويلة إقحام الهمزة لابتداء المقطع

- تزوارّ: تزوئر taz/wa/>ir/ru > taz/war/ru

وقد حدث الأمر أولا في الماضي، أي iz/war/ra(>) ، إذ تشكل فيها المقطع الطويل المغلق (war) وهو جائز لتوافر أحد شرطي جوازه، كما في الأمثلة السابقة، ولكنه مستثقل ولهذا فإن بعض اللهجات تلجأ إلى تقسيم الحركة الطويلة (a) إلى حركتين (a+a)فتصبح الكلمة iz/wa/ar/ra(>)، ثم تأتي خطوة إقحام الهمزة لابتداء المقطع (ar) الذي لا يجوز في النظام المقطعي في بعض السياقات والمستويات اللهجية، فيصبح المقطع (>ar)، ويظل هذا المقطع مستعملاً في المضارع، ففي قوله تعالى (تزّاورُ عن كهفهم)(١١) قرأ عاصم الجحدري: تزوارّ التي تحتوي على المقطع المستثقل taz/war/ru، وعن هذه القراءة قرأ أبو معاذ تزوئر(١٢).

وقد كانت هذه العمليّة الصوتية طريقاً لنشوء عدد كبير من الكلمات المهموزة من هذا الأصل غير المهموز، وذلك نحو: اتمأرّ من الأصل (اتمارّ) بمعنى طال وصلب واشتد(١٣)واجثألّ من الأصل (اجثالّ) بمعنى: طال وغلظ والتفّ(١٤) واجذأرّ، من الأصل غير المهموز (اجذارّ) بمعنى انتصب للسباب(١٥) ومنها أيضاً: اجرأشّ، أي ثاب جسمه بعد هزال، وله علاقة بالتجريش بمعنى الجوع والهزال(١٦). ومنها احزأل وارمأزّ وازبأرّ الشعر والنبات، وازرأمّ وازلأمّ واسمأدّ واسمألّ واشرأبّ واشمأزّ واطمأنّ، ومنها قراءة أبي عثمان النهدي: وازيأنّت(١٧) في قوله: ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت﴾(١٨) وقد فسّرها هنري فليش كتفسيرنا هذا، أي أنها هروب من المقطع الطويل المغلق، لكراهة النطق بمصوت طويل في مقطع مغلق(١٩) في حين فسّرها الدكتور عبدالصبور شاهين تفسيراً صوتياً آخر، وهو أن النبر في لسان قبائل البادية يأخذ صورة التوتر، على حين يأخذ صورة الطول في لسان غيرهم من الحضريين، وقد اتّخذ التوتّر صورة الهمزة نظراً لشدّة ضغط الناطق على

المقطع، برغم أنه لا مادّة الكلمة، ولا أية صيغة من صيغها الاشتقاقية تحتوي همزة، الأمر الذي يؤكد أن رمز الهمزة هنا علامة نبر لا أكثر(٢٠).

وعلى الرغم من أنَّ هذا الأمر له تفسيره الصوتي، فإنه كان مدعاة إلى الشك عند علماء السلف، ففي حديث ابن جني عن قوله تعالى: ﴿فيومئذ لا يُسألُ عن ذنبه إنسٌ ولا جانّ﴾(٢١) روى أن أبا العباس محمد بن يزيد المبرد روى عن أبي عثمانَ المازني عن أبي زيد أنه قال: سمعت عمرو بن عبيد يقرأ: فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جأنّ، فظننته قد لحن، إلى أن سمعت العرب تقول: شأبّه ومأدّة ودأبّة(٢٢). فالتوجيه هنا مرتبط بالسماع عن بعض العرب، لا في البحث عن وجه لغويّ يفسّر الهمزة، فلمّا سمع عن العرب مثل هذا النمط الاستعمالي، أقرّ القراءة من ناحية التوجيه اللغوي، وإلا فقراءة عمرو بن عبيد قراءة غير معتمدة، فهو من رؤوس المعتزلة، وكان يشتم الصحابة ويكذب في الحديث(٢٣).

ونذكر في هذا الجزء مظهراً أخيراً يعني المقطع الطويل المغلق، ولكنه ليس مستثقلاً في هذه الحالة، بل إنّه مرفوض لا يجوز في العربية، وذلك لأنه لا يتحقق فيه شرط من شروط جوازه السابقة الذكر، وذلك ما ورد في قراءة شاذة في قوله تعالى: ﴿اهتزّت وربت﴾(٢٤) فقد رُوِيَ عن أبي جعفر يزيد بن القعقاع أنه قرأ: ربأت((٢٥).

ووجه القراءة عندي أنه همز الأصل، ولم يهمز الصورة التي تبدو في البنية السطحية (ربت)، فالأصل (البنية العميقة) هو (ربات) وقد حذفت القراءة جزءاً من الفتحة الطويلة بسبب تشكل المقطع الطويل المغلق الذي يُرْفَضُ ما لم تتحقق فيه شروط جوازه(٢٦) وهذه هي الطريقة القياسية التي تعاملت معها العربية الفصحى، أي:

ربات > ربت

rabat > rabat

ولكن يبدو أنّ بعض اللهجات قد نحت منحىً آخريختلف عن هذا التوجّه، فلم تقصّر النواة كما حدث هنا، بل لجأت إلى ما لجأت إليه في الصيغ السابقة التي كان المقطع فيها مستثقلاً حسب، فقسمت النواة الطويلة إلى نواتين قصيرتين، شكلت إحداهما نواة لمقطع الباء القصير المفتوح، فيما انضمت الثانية إلى التاء، مما اقتضى إقحام الهمزة، ليصبح المقطع مبدوءاً بصامت، أي أنّ الأمر تمّ على النحو الآتي:

ربات > رب ـَـَ ت > ربأت

rabat < raba*at < raba>at

الأصل تقسيم النواة إقحام الهمزة

وهذا التحرّك الصوتي يخصُّ بعض اللهجات العربية، وأما المستوى الفصيح فهو يقبل هذا المقطع في حالة توافر أحد شرطي جوازه كما أشرنا إليها في مواضع مختلفة من هذه الدراسة.

٢- الهمز الناشىء عن تقصير الحركة الطويلة:

ويتم التقصير هنا من حركة طويلة إلى حركة قصيرة واحدة، بمعنى أنه لا يتم تقسيمها، وقد وجدت أن بعض الأنماط التي تحتوي على الفتحة الطويلة، والضمة الطويلة هي المعرضة للتقصير، وأما الياء المدّيّة (الكسرة الطويلة) فلم أقف لها على أمثلة بعد، ولا سيّما في موضوع إغلاق المقطع بالهمزة، ومن ذلك:

- أدنى : أدنأ >ad/na > >ad/na>

فقد قُصِّرَتْ الحركة الطويلة (a) إلى حركة قصيرة (a)، وهذا اقتضى من بعض اللهجات إغلاق المقطع القصير المفتوح (na) بالهمزة ليصبح مقطعاً قصيراً مغلقاً (na>) وقد جاء هذا في قوله تعالى: ﴿أتستبدلون الذي هو أدنى﴾(٢٧) فقد قرأ زهير الفرقبي: أدنأ بالهمز(٢٨).

- خطاياه: خطأياه ha/ta/ya/hu > ha/ta>/ya/hu

فقد لجأت بعض المستويات اللهجية إلى التخلص من الحركة الطويلة في المقطع الطويل المفتوح (ta) عن طريق تقصيرها، فقامت هذه المستويات اللهجية بإغلاق المقطع عن طريق إقحام همزة في آخره.

خطاياه > خط ـَ ياه > خطأياه

hata>yahu < hata*yahu < hatayahu

والنمط المهموز جاء في قراءة بعض الشامين(٢٩) في قوله تعالى: ﴿وأحاطت به خطاياه﴾(٣٠).

- وفي قوله تعالى: ﴿أو نُنْسِها﴾(٣١).

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: نَنْسَأها، بفتح النون والهمز، وقرأ باقي السبعة: نُنْسِها(٣٢) وقد فسّر مكي بن أبي طالب قراءة الهمز على غير هذا الوجه، وهو أن القُرّاء هنا جعلوها مِن التأخير، أي أنه جل وعلا يؤخر نسخ لفظ الآية(٣٣) ويمكنها ولكننا من حيث اللفظ نستطيع أن نوجهها على غير هذا الوجه، أي أنّ الأصل ننساها nan/sa/ha ثم قصرت الحركة الطويلة في المقطع الطويل المفتوح (sa) فصار مقطعاً قصيراً مفتوحاً (sa) ثم اجتلبت همزة القطع لتكون نبرة تغلق المقطع ليصير قصيراً مغلقاً، وهذا التوجيه بعيد جداً؛ لأنّ النسيان محال على الله جلّ شأنه.

- وفي قوله تعالى: ﴿وذروا ما بقي من الرّبا﴾(٣٤) قرأ الحسن البصري: الرِّبأ(٣٥) فالأمر تمّ على النحو الآتي:

ربا < رب ـَ < ربأ

ri/ba < ri/ba* < riba>

الأصل تقصير الحركة التعويض عن طريق الهمز.

فقد قصّرت الحركة في المرحلة الثانية، فقام بإغلاق المقطع القصيرعن طريق إقحام الهمزة (ba> < ba).

- وفي قوله تعالى: ﴿وكشفت عن ساقيها﴾(٣٦) قرأ الجمهور بإرسال الألف (ساقيها) وقرأ ابن كثير سأقيها، وقد ذكر ابن خالويه لهذه القراءة وجهين:

أحدهما: أن العرب تشبّه ما لا يهمز بما يهمز فتهمزه تشبيها به، كقولهم: حلأت السويق وإنما أصله في قولهم: حلأت الإبل عن الحوض، إذا منعتها من الشرب.

والثاني: أن العرب تبدل من الهمز حروف المدّ واللين، فأبدل ابن كثير من حروف المدّ واللين همزة تشبيها بذلك(٣٧) وقد ذكر البناء الدمياطي أنها لقنُبل، وأنها لغة أصلية(٣٨).

فهي في رأينا لغة من يقصّر الحركة، فيتغيّر شكل المقطع من طويل مفتوح إلى قصير مفتوح، مما يدفع إلى إغلاق المقطع الجديد بالهمزة، ليصبح مقطعاً قصيراً مغلقاً:

ساقيها < س ـَ قيها < سأقيها

sa/kay/ha < sa*/kay/ha < sa>/kay/ha

الأصل غير المهموز تقصير الحركة التعويض عن التقصير بإقحام الهمزة

- وفي قوله: ﴿فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾(٣٩).

قرأ ابن كثير وحده (السؤق) بهمز الواو، وقرأ البزّي عنه بغير همز، وقد ذكر ابن مجاهد توجيها لهذه القراءة، وهو أن الواو انضمت، فهمزت لانضمامها ولكنه ذكر أن الأولى أنه لا وجه لها(٤٠).

وعلى الرغم مما قاله ابن مجاهد، فإننا نرى لها تفسيراً صوتياً معقولاً، وهو أن الأصل فيها هو (سوق) sukun في حالة الرفع، ويتم تقصير الحركة الإعرابية ليصير المقطع المفتوح مقطعاً قصيراً مفتوحاً (su < su) وهذا يسبب فجوة تخل ببناء الكلمة، فيغلق الناطقون المقطع بالهمزة لملء هذه الفجوة، فيتحوّل المقطع القصير المفتوح إلى مقطع قصير مغلق، على النحو الآتي:

سوقٌ < س ـُ قٌ < سؤق

su>kun < su*kun < sukun

الأصل غير المهموز تقصير الحركة التعويض عن المحذوف

وعلى هذا، يمكن أن نقول إنّ الهدف هو إغلاق المقطع، عن طريق إضفاء مزيد من التوتر والضغط الذي يتولّد عنه همزة.

وعلى هذا فإنه يمكن تفسير هذه الهمزة على أساس أنّ الهمز يمثّل مظهراً من مظاهر إقفال المقاطع القصيرة، إذ إنّ اللغة لا تحبّذ المقطع القصير المفتوح في بعض بناها اللغوية، مما يدفع باتّجاه إغلاق المقطع، ويتمُّ هذا الأمر بطرق منها التشديد، مثل: دُخَان > دُخَّان، وقَدُوم > قَدُّوم، ولثَة > لثَّة، وغيرها، ومنها أيضاً إقفال المقطع بالواو، مثل: ربا > ربو، ومنها أيضاً إقفال المقطع بالهَمز كما في هذه الأمثلة التي عرضناها سابقاً.

٣-الهمز الناتج عن التوهم:

مصطلح التوهم عند علمائنا القدامى يعني ما عنى به المعاصرون: القياس الخاطئ، وربما أطلق عندهم على الغلط، يقول سيبويه: « فأمّا قولهم: مصائب، فإنه غلط منهم، ذلك أنهم توهموا أن (مصيبة): فعيلة، وإنما هذه مُفْعلة»(٤١). وأما معنى هذا المصطلح فهو الميل العارض -الذي يمكن التنبؤ بحدوثه- من كلمة أو صيغة، إلى الخروج عن مدارها الطبيعي، في التطور والدخول في طبيعة كلمة أو صيغة أخرى، لوجود مشابهة حقيقة أو متوهمة بينهما(٤٢) فإذا كانت المشابهة حقيقية، فإنّ

القياس يكون صحيحاً، وإذا كانت متوهمة، فإن القياس يكون خاطئاً أو متوهماً. وأما ما نعنيه بالتوهم الذي يؤدي إلى همز غير المهموز، فهو أن المتكلّم في بعض اللهجات قد يتوهم أن مكاناً ما، كان مهموزاً في الأصل، وأنّ الهمزة قد حذفت من كلمة ما في لهجة ما، كلهجات الحجازيين مثلا، فتقوم اللغة بإعادة الهمزة إليه، قياساً على بعض الصيغ التي تشبهها من حيث الشكل الصوتي، وكانت هذه الصيغ المقيس عليها مهموزة في الأصل. وحتى نوضّح هذه القضيّة، نورد الأمثلة الآتية:

- سويّ : سويءٌ sawi>un > sawiyyun

تقوم بعض اللهجات، كاللهجات الحضريّة في الحجاز بإسقاط الهمزات من وسط الكلمة وآخرها، فكلمة جريء gari>un عندما تخفّف همزتها، فإنها ستصبح جري gariyun فتقوم بعض اللهجات بتعويض المحذوف عن طريق التشديد، فتصير الكلمة gariyyun بتشديد الياء الناتجة عن التخفيف، فإذا ما طرأت حاجة لاستعمال هذه الكلمة في المستوى الفصيح، فإنّ على المتكلم أن يراعي أن هذا المستوى الفصيح قد اتّخذ الهمز شعاراً له، ولهذا، فإنه سيعيد هذه الكلمة إلى أصلها المهموز وهو جريء gari>un فإذا قام الناطق بهذه العملية، فإنه يعيد الكلمة إلى أصلها، ولكنه قد يقوم بقياس بعض الكلمات غير المهموزة في الأصل على هذه الكلمة؛ لأنها تشبهها قبل إعادتها إلى المستوى الفصيح المهموز، فيهمزها قياساً عليها، وذلك كهذه الكلمة (سويّ) التي تشبه (جريّ)، فإذا كان (جريّ) العامية ستعود إلى (جريء) في الفصحى، فلا بأس من حمل (سويّ) عليها، وإن كانت ليست مهموزة في الأصل، وهذه عملية تلقائية تؤدي إلى نشوء أنماط جديدة، ولكنها مهموزة، خلافاً للأصل غير المهموز، وقد جاء مثل هذا في إحدى القراءات التي قرىء بها قوله تعالى: ﴿فستعلمون مَن أصحاب الصراط السّويّ ومن اهتدى﴾(٤٣) فقد قرأ يحيى بن يعمر: السويء(٤٤).

- دَرّيّ: دَرّيء: darri>un > darriyyun

في قوله تعالى: ﴿كأنها كوكب دُرّي﴾(٤٥).

قرأ نصر بن عاصم وأبو رجاء العطاردي وسعيد بن المسيّب وأبان بن عثمان: دِرّيء بكسر الدال والهمز والمدّ، وقرئت: دَرّيء(٤٦) بفتح الدال والمدّ والهمز، وعلى الرغم من التوجيه الدلالي للقراءة من أنها جاءت من (الدَّرّ) وهو الدفع في الانقضاض وشدة الضوء(٤٧) فإنه يمكن توجيهها على أن بعض المستويات اللهجية الاستعمالية تميل إلى همز هذه الأنماط قياساً على الأنماط المهموزة الأصل، مثل جريء وسويء وغيرها.

ويمكن أن نحمل (دريء) على أنّها من (الدرء) و(السويء) على أنّها من (السوء) وعلى هذا

فيحتمل أن تكون الهمزة فيها أصلاً، وذلك أنها قد قرئت قراءات مهموزة أخرى لا تخضع لظاهرة همز غير المهموز التي نحن بصدد الحديث عنها في هذه الدراسة، ولهذا فمن الجائز أن تكون (سويء) و (دريء) من مشتقات الأصل المهموز.

- فريّ : فريء: fariyyun : fari>un

في قوله تعالى: ﴿يا مريم لقد جئت شيئاً فريا﴾(٤٨).

قرأ أبو حيوة: فريئاً بالهمزة(٤٩) وهو توهّم أو قياس على الأنماط المهموزة أيضاً.

٤-الهمز الناشىء عن التخلص من الحركة المزدوجة:

تنقسم الحركات المزدوجة بصورة عامة إلى حركات مزدوجة صاعدة وحركات مزدوجة هابطة، ومن الناحية الوظيفية، فإنّ ما يحدد الصعود والهبوط في الحركات المزدوجة، هو موقع النواة الصائتة من المقطع الذي يحتوي على هذا السياق، أي موقع الحركة، لأنّ الحركة المزدوجة عبارة عن تتابع حركة وشبه حركة أو شبه حركة وحركة في مقطع واحد (٥٠)، ولا فرق هنا بين الحركة الطويلة أو القصيرة، فكلاهما تقعان في سياق يشكل حركة مزدوجة(٥١)، فإذا جاءت الحركة قبل شبه الحركة، فإن الحركة المزدوجة هنا هابطة، وإذا حدث العكس فتكون عندئذ حركة صاعدة، وعلى العموم، فإنّ الذي يحدد الصعود والهبوط في الحركات المزدوجة من الناحية الصوتية المجردة هو الأجهزة الصوتية التي ترسم شكل الحركة على شاشات الأجهزة، وهو أمر قد فرغ منه منذ زمن بعيد، وما يهمنا هنا هو أن بعض اللهجات المروية عن بعض البيئات اللغوية، قد لجأت إلى همز غير المهموز فراراً من المقاطع التي تحتوي في بناها السطحية على حركات مزدوجة، ولتسهيل دراسة هذا الأوضاع، فقد لجأت الدراسة إلى تقسيم الموضوع بحسب شكل الحركة والنواة الصائتة، وفيما يأتي تفصيل أثر الحركة المزدوجة في تشكيل بُنَىً مهموزة جديدة من بنى غير مهموزة أصلا:

أ- الحركة المزدوجة الصاعدة التي تكون نواتها كسرة (wi)

وهي حركة مقبولة في النظام الفنولوجي العام للعربية، ولكنها وضع مستثقل في بعض اللهجات، مما يدفعها إلى أن تقوم باطّراح شبه الحركة (w) ثم تعوض عنها عن طريق الهمز في مثل (ورْث wirt) التي تتحول إلى (إرثirt>)(٥٢) مما سبب وجود مادة معجمية جديدة(٥٣) ومنها ما

جاء في قوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة﴾(٥٤) فإن المشهور أن (آزر) هو والد سيدنا إبراهيم كما تذكر كتب التفسير(٥٥) فهو يقول لأبيه آزر: أتتخذ أصناماً آلهة؟ ولكن ابن عباس كما يروى عنه قرأ: إزراً تتخذ، أي وزراً(٥٦) وبالتالي، فإنّ الهمزة فيه ناتجة عن حذف شبه الحركة في (wizran) ثم التعويض عنها بالهمزة (>izran).

وجاء مثل هذا في قراءة سعيد بن جبير وعيسى بن عمر وعبيد بن عمير وأبان بن تغلب واليماني: إعاء(٥٧) في قوله تعالى: ﴿ثم استخرجها من وعاء أخيه﴾(٥٨).

>i<a> < *i<a> < wi<a>

التعويض بالهمزة إسقاط شبه الحركة الأصل

وقد كان هذا الوضع سبباً في توليد صيغ أخرى كثيرة مثل: إشاح من وشاح(٥٩) وإجاء وإكاء من وجاء ووكاء وإجاح من وجاح وإسادة من وسادة(٦٠).

ب- الحركة المزدوجة الصاعدة التي تكون نواتها ضمة:

وهي أيضاً حركة مقبولة من الناحية الوظيفية في اللسان العربي، ولكنها مستثقلة، مما يدفع ببعض اللهجات والمستويات الاستعمالية إلى التخلّص منها تخلّصاً مقيّداً، وهذا يؤدي بدوره إلى نشوء كلمات جديدة مهموزة لم تكن موجودة أصلاً، وهذه المفردات الجديدة تدخل في المعجم العربي وتستعمل جنباً إلى جنب مع الصيغ الأصلية التي تخلو من الهمز، ومن الأمثلة على هذا الأمر:

- في قوله تعالى: ﴿إنْ يدعون من دونه إلا إناثاً﴾(٦١) قرأ النبي ﷺ وجماعة: وُثُنا وأُثُنا، وقرأ عطاء: أُثُنا(٦٢) ولا بدّ في توجيه القراءة بالهمز من حملها على قراءة الواو الأولى: وُثُنا، التي تشكل فيها حركة مزدوجة صاعدة نواتها ضمة (wutuna) فحذفت شبه الحركة (w) للتخفيف ثم عوّض بالهمزة التي أقفلت المقطع:

>utuna < *utuna < wutuna

التعويض عنها بالهمزة حذف شبه الحركة الأصل غير المهموز

وعلى هذا تحمل القراءة الثانية (أُثُنا) بسكون الثاء، مع الأخذ بعين الاعتبار أن التسكين هنا جاء للتخفيف.

-وفي قوله تعالى: ﴿وجوههم مسودة﴾(٦٣) قرأ أبي بن كعب: أجوههم(٦٤). والأمر تمّ على

وفق المخطط الآتي:

وجوههم	<	ـُ جوههم	<	أجوههم
wuguhuhum	<	*uguhuhum	<	>uguhuhum
الأصل غير المهموز		حذف شبه الحركة		التعويض بالهمز

- وفي قوله تعالى: ﴿وأنّى لهم التناوش﴾(٦٥) قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص: التناوش، وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر والمفضل: التناؤش بالهمز(٦٦).

وقد ذهب مكي بن أبي طالب في توجيه قراءة الهمز مذهباً دلالياً بحتاً، فذكر أنّ حجّة مَن همز، أنه جعله مشتقاً من (نأش) إذا طلب، فالمعنى: وكيف لهم طلب الإيمان في الآخرة وهو المكان البعيد، وذلك أنهم آمنوا في موضع لا ينتفعون بالإيمان فيه، على أنّ مكياً نفسه قد أجاز أن يكون من (ناش ينوش) إذا تناول، ولكن لما انضمّت الواو أبدلوا منها همزة(٦٧).

ومعنى كلام مكيّ هنا، هو أنه أبدلت الهمزة من الواو، وما نختلف فيه مع السابقين، يكمن في أن الإبدال لم يحدث هنا، ولكنّ الذي حدث هو حذف شبه الحركة (w) من tanawus لصعوبة الحركة المزدوجة (wu) فالتقت الفتحة مع الضمة، ثم أقحمت الهمزة للفصل بين الحركتين، فتولّد من هذه العملية نمط مهموز وهوالتناؤش:

tanawus	<	tana*us	<	tana>us
الأصل		حذف شبه الحركة		التعويض عن طريق الهمزة

- وفي قوله: ﴿اشتروا الضلالة﴾(٦٨) قرأ بعض القرّاء بالهمز، أي: اشترؤا، وهي لغة قيس. وبعض العرب يقولون: عصئوا الله بالهمز(٦٩) والسبب في وجود الهمزة في هذا النمط، هو حذف شبه الحركة من الحركة المزدوجة الصاعدة، ثمّ تأتي عملية إقحام الهمزة، على النحو الآتي:

(>)istarawuddalalata	<	(>)istara*uddalalata	<	(>)istara>uddalalata
الأصل		حذف شبه الحركة		التعويض بالهمزة

وغاية هذا التعويض صوتيّة محضة، وهي الفصل بين الحركتين بعد سقوط شبه الحركة، أي:

ra>ud < ra*ud

ومثل هذا أيضاً ما جاء من همز بعض الأعراب لقوله تعالى: ﴿فتمنؤا الموت﴾(٧٠).

وفي قوله تعالى: ﴿وإذا الرسل أقتت﴾(٧١) قرأ أبو عمرو وحده بالواو على الأصل (وقّتت) وقرأ باقي السبعة: أقّتت بالهمزة(٧٢) والذي حدث في هذه القراءة، وهو استثقال للحركة المزدوجة (wu) مما أدى إلى حذف شبه الحركة، ثم التعويض عنها عن طريق الهمزة لإغلاق المقطع:

وقّتت < ـُ قت < أقتت

wukkitat < *ukkitat < >ukkitat

الأصل بعد حذف شبه الحركة إقحام الهمزة لإغلاق المقطع

- وفي قوله تعالى: ﴿لترونَّ الجحيم﴾(٧٣) قرأ ابن الرومي عن أبي عمرو: لترؤن بالهمز، وهو عند أغلب النحويين لحن كما يذكر ابن خالويه(٧٤)، وفي هذه القراءة وجهان:

١- أنه عودة إلى الأصل المستغنى عنه في اللغة؛ لأن أصل (يرى) هو (يرأى) بالهمز(٧٥).

٢- أنه حذف شبه الحركة (الواو) من الحركة المزدوجة الصاعدة latarawunna فالتقت الفتحة مع الضمة، والتقاء الحركة مع الحركة غير مقبول في النظام الفنولوجي في العربية واللهجات التابعة لها، مما أدّى إلى التعويض عن المحذوف عن طريق همزة القطع، للفصل بين الحركتين، ولتبدأ المقطع (un) الذي بدأ بحركة:

لترونّ < لتر ـَـُ نَّ < لترؤنّ

latarawunna < latara*unna < latara>unna

الأصل بعد حذف شبه الحركة التعويض عن المحذوف بالهمزة

ج- الحركة المزدوجة الواوية التي تكون نواتها فتحة:

وهي أكثر الحركات المزدوجة قبولاً، ربما بسبب خفتها المتأتّية عن أنّ نواتها هي الفتحة، ومع ذلك فهي عرضة للتغيير والتبديل، عن طريق حذف حدّ الابتداء، وهو شبه الحركة، والتعويض عنه بالهمزة، في بعض اللهجات، ومنه أمثلته:

- في قوله تعالى: ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾(٧٦) قرأ عمرو بن عبيد وعيسى بن عمر: خطؤات بالهمز(٧٧) وقد تم الأمر كما في هذا المخطط الصوتي:

خطوات < خط ـُات < خطؤات

hutuwat < hutu*at < hutu>at

الأصل وفيه الحركة المزدوجة حذف شبه الحركة التعويض عن طريق الهمزة

وجاء في القراءات الشاذة: ولتناهم والتناهم وآلتناهم (من والتناهم) أيضاً(٧٨) كما جاء في بعض الاستعمالات اللهجية: ذأى العود بمعنى (ذوى)، وقد وصف ابن منظور هذا الاستعمال بأنه لغة رديئة(٧٩). كما قرأ بعض القراء: لتبلؤن(٨٠)، في قوله تعالى: ﴿لتبلونّ في أموالكم﴾(٨١).

د - الحركة المزدوجة اليائية الصاعدة التي تكون نواتها كسرة(yi)

وهي وضع صوتي مستثقل وقليل الاستعمال في حدود ما أعلم، كما في ياء المضارعة في حالة التلتلة، وبعض الأنماط التي تحدث في حالة استعمال بعض اللواحق كنون التوكيد التي تلحق الفعل المضارع المسند إلى المخاطبة، كما في قوله تعالى: ﴿فإما ترينّ من البشر﴾(٨٢) فالفعل (ترين tarayinna) يحتوي على هذا الوضع الصوتي المستثقل، وهو وضع مقبول في المعيار الفصيح في مثل هذا السياق، ولكنه صعب، ومن المتوقع أن تسعى بعض المستويات اللهجية إلى التخلّص منه، وهو ما نجده في بعض الاستعمالات اللغوية من اللهجات العربية التي تمثّلها القراءات، ومن هذا ما رُوِيَ عن أبي عمرو بن العلاء من أنه قرأ: ترئنّ(٨٣) (tara>inna) إذ تخلص من شبه الحركة (y) مع بقاء حركتها، فالتقت الفتحة السابقة عليها مع هذه الكسرة، وهو وضع صوتي غير مقبول مما أدى إلى التعويض عن المحذوف بالهمزة للفصل بين الحركتين. وأما ما ذهب إليه ابن جني من تحليل هذه القراءة وتضعيفها من أنّ هذا الوضع ليس مستثقلاً بسبب أن شبه الحركة مسبوقة بفتحة، فهو أمر لا يفسّر الظاهرة، وإن كان يفسّر أن ورود هذا النمط قليل في لسان العرب، على أن ابن جني نفسه روى أن الكوفيين قد حكوا الهمزة في نحو هذا، كما في قول الشاعر:

... ... كمشترىء بالحمد أحمرةً بُتْرا(٨٤)

والأصل: كمشترٍ (كمشتريٍ)، وعلى هذا فالذي حدث هنا، يمكن تمثيلهُ على النحو الآتي:

tara>inna < tara*inna < tarayinna

mustari>in < (٨٥) mustari*in < mustariyin

التعويض بالهمزة حذف شبه الحركة الأصل

هـ- الحركة المزدوجة اليائية التي تكون نواتها فتحة:

وليست هذه الحركة من الأوضاع المرفوضة أيضاً، بل هي أخف الحركات المزدوجة نطقاً، ربما بسبب وجود الفتحة نواة لها. ومع هذا فقد طرأ عليها بعض التغيرات، ومن ذلك:

- في قوله تعالى: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً﴾(٨٦) قرأ بعض القراء: ضئاء(٨٧)، وقد فسّر ابن خالويه هذا الموضع على أنه جعله من ضاء القمر ضوءاً أو أضاء، ومع ذلك، فإن هذا التفسير لا يقدّم في أمر تشكّل الهمزة شيئاً، والذي نراه هنا هو أن الأصل ضياء diya> يحتوي على الحركة المزدوجة الصاعدة (ya) وقد حذفت شبه الحركة للتخفيف، فالتقت الكسرة السابقة عليها مع نواتها، وهي الفتحة الطويلة، مما دعا إلى إقحام الهمزة للفصل بينهما، وليستقيم الشكل المقطعي للكلمة، فصارت di>a>an وقد جاء مثل هذا أيضاً في قوله: « ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء»(٨٨) فقد قرأ ابن كثير وحده: وضئاء كالموضع السابق(٨٩).

- وفي قوله تعالى: ﴿وجدها تغربُ في عين حمئة﴾(٩٠) قرأ ابن عامر وأبو بكر وحمزة والكسائي: حامية، من معنى الحرارة، وقرأ الباقون حمئة، وقد فسرت على أنها جاءت من معنى الطين والحمأة(٩١) ومع ذلك فإنه يمكن التماس وجه صوتي لهذه القراءة يتوافق مع معنى الحرارة، وهو أنّه من (حَمية hamiyatin) الذي تشكلت فيه الحركة المزدوجة الصاعدة (ya) وقد أسقطت بعض المستويات اللهجية شبه الحركة (y) فالتقت حركتا الكسر والفتح مشكلتين وضعاً صوتياً غير مقبول (ia) مما ألجأ هذه المستويات التي نتحدّث عنها إلى التعويض بالهمزة للفصل بينهما، والتلخص من هذا الوضع:

حَمِيَة > حمِـَـة > حمئة

hamiyatin < hami*atin < hami>atin

وإن كنا لا نقوّي تفسير القراءة دلالياً من الطين أيضاً.

- وفي قوله تعالى: ﴿وكنت نسياً منسيا﴾(٩٢) قرأ محمد بن كعب القرظي وبكر ابن حبيب السهمي: نَسئا بفتح النون والهمزة، وقد ذهب ابن جني إلى تبنّي رأي أبي زيد الأنصاري في تفسير هذه القراءة دلالياً، من قولهم: نسأت اللبن أنسؤُهُ نسئاً، وذلك أن تأخذ الحليب، فتصب عليه ماء، واسمه: النسءُ والنسيء وعلى هذا يكون تأويل هذه القراءة، يا ليتني متّ قبل هذا وكنت كهذا اللبن المخلوط بالماء في قلته وصغارة حاله(٩٣).

وهذا التفسير على الرغم من احتماله لهذه الدلالة، قد يبتعد عن الحقيقة، والأقرب من هذا التفسير أن نلجأ إلى ما نحن بصدده من أمر تأثير الحركات المزدوجة، فالأصل الاستعمالي لهذه الكلمة هو: (nasyan) تحتوي على الحركة المزدوجة الصاعدة (ya)، وتخلصت بعض اللهجات التي مثّلتْها هذه القراءة منها عن طريق حذفها وإقحام الهمزة ليبدأ بها المقطع (an) إذ لا يجوز فيه الابتداء بحركة.

-وفي قوله تعالى: ﴿إما تُرِينّي﴾(٩٤) قرأ بعض القراء بالهمزة، أي: «تُرِئّني»(٩٥) وهي ناتجة عن حذف شبه الحركة وإقحام الهمزة، أي:

ترِيني < تُرِئّني

turi>anni < turiyanni

والهمزة هنا للفصل بين الحركتين (ia)ولابتداء المقطع بصوت صحيح.

و- الحركة المزدوجة الهابطة اليائية (uy)

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿بالآخرة هم يوقنون﴾(٩٦) فقد قرأ أبو حية النميري: يؤقنون، بالهمزة(٩٧) والأصل فيها يُيْقنون yuykinuna، وفيها الحركة المزدوجة الهابطة (uy)، وهي صعبة جداً، تلجأ بعض المستويات اللهجية إلى التخلص منها عن طريق حذفها وقد سارت في مسارين في التعويض عنها، فالمسار القياسي، أن تعوّض عنها عن طريق إشباع نواتها الصائتة، وهي الضمة (yukinuna < yu*kinuna < yuykinuna)، والمسار الثاني وهو مسار بعض اللهجات التي مثّلتها بعض القراءات القرآنية، فهو أن تغلق المقطع بالهمزة، أي :

(yu>kinuna < yu*kinuna < yuykinuna).

ومن الأمثلة على تأثير هذا السياق الصوتي ما ورد في قوله تعالى: ﴿ولا أدراكم به﴾(٩٨) فقد قرأ ابن عباس والحسن وابن سيرين: أدرأتكم به(٩٩)، وقد حار القدماء في أمر هذه القراءة، ولكن ابن جني وجد لها وجهاً معقولاً، وهو أن الأصل أدريتكم، قلبت الياء همزة لأنها ساكنة وما قبلها مفتوح، كما قالوا في (يَيْبَسُ): يابسُ، وهي لغة عقيل، يقولون في (أعطيتك: أعطاتك)(١٠٠).

وهذا الذي ذهب إليه ابن جني هو ما نودّ قوله أيضاً، فالأصل (أدريتكم) (>adraytukum) يحتوي على الحركة المزدوجة الهابطة (ay)، وقد استثقلت لغة عقيل وبعض اللهجات الأخرى هذا الوضع الصوتي، فحذفت شبه الحركة، ثم عوّضت عنها عن طريق الهمزة:

>adra>tukum < >adratukum < >adraytukum

التعويض بالهمزة حذف شبه الحركة الأصل

وبهذا نكون قد عرضنا آثار إقحام الهمزة في المستويات اللغوية المختلفة التي استعملت في توجيه القراءات القرآنية المختلفة، وهي آثار ساهمت إلى حدّ ليس قليلاً في توليد كلمات مهموزة لم تكن الهمزة في ضمن مكوّناتها الأساسية، وأرجو من الله العليّ القدير أن يصفح عني ويتجاوز عن زلاتي وهنوات قلمي.

الهوامش

١- للتفصيل في أشكال المقاطع، انظر: عبدالصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، مكتبة الشباب، القاهرة (د.ت) ص٤٠، وفوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، رسالة دكتوراه، في آداب عين شمس، ١٩٨٣، ص٩٤ وعبدالله الكناعنة، أثر الحركة المزدوجة في بنية الكلمة العربية، دراسة لغوية، مطبعة كنعان، إربد، ١٩٩٧، ص٣-٦.

٢- الدكتور رمضان عبدالتواب، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٥، ص١٩٥.

٣- الفاتحة/ ٧.

٤- ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٤، ١/ ٤٦. وانظر: ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، نشره برجشتراسر، دار الهجرة (د.ت)، ص١.

٥-زيادة على هذه الحالة، يمكن تثنيته على (اللذان) بتخفيف النون المكسورة، و (اللذا) بحذف النون، انظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥ (لذا) ١٥/ ٢٤٥.

٦- النساء/ ١٦.

٧- ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص٢٥.

٨- الحجر/ ٢٧.

٩- ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص٧١. وقد أسكن عمرو بن عبيد الهمزة تخفيفاً.

١٠- الرحمن/ ٥٦، ٧٤.

١١- الكهف/ ١٧.

١٢- ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص٧٨.

١٣- ابن منظور، لسان العرب (تمر)٤/ ٩٤ وانظر لمزيد من هذه الأمثلة: الدكتور رمضان عبدالتواب، فصول في فقه العربية، ص١٩٨-٢١٢.

١٤- ابن منظور، لسان العرب، (جثل) ١١/ ١٠٠.

١٥- المرجع السابق، (جذأر) ٤/ ١٢٤ وفصول في فقه العربية، ص٢٠٠.

١٦- ابن منظور، لسان العرب (جرش) ٦/ ٢٧٣.

١٧- ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص٥٦.

١٨- يونس/ ٢٤.

١٩- الدكتور عبدالصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت) ص١٢٨.

٢٠- المرجع السابق، ص١٢٨.

٢١- الرحمن/ ٧٤.

٢٢- ابن جني، المحتسب ١/ ٤٦-٤٧.

٢٣- شمس الدين الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لكنو: الهند، (د.ت)، ٢/ ٢٦٤. وانظر: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، نشره برجشتراسر، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د.ت) ١/ ٦٠٢.

٢٤- الحج/ ٥.

٢٥- ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص٩٤.

٢٦- يحيى القاسم، أثر المقطع المرفوض فيه بنية الكلمة العربية، أبحاث اليرموك، م ١١ع ٢ ١٩٩٣/ ١٥٤-١٥٥.

٢٧- البقرة، ٦١.

٢٨- ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص٦.

٢٩- المرجع السابق، ص٧.

٣٠- البقرة/ ٨٣.

٣١- البقرة/ ١٠٦.

٣٢- ابن مجاهد، السبعة في القراءات، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، (د.ت) ص١٦٨.

٣٣- مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١، ١/ ٢٥٨.

٣٤- البقرة / ٢٧٨ .

٣٥- ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص١٧ .

٣٦- النمل/ ٤٤ .

٣٧- ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، تحقيق الدكتور عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٠، ص٢٧٢ . وانظر: ابن مجاهد السبعة في القراءات، ص٥٥٣ .

٣٨- البناء الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، تحقيق الدكتور شعبان إسماعيل، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧، ٢/ ٣٢٩ .

٣٩- سورة ص/ ١٣٣ .

٤٠- ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص٥٥٣ .

٤١- سيبويه، الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، عالم الكتب، بيروت، (د.ت) ٤/ ٣٥٦.

٤٢- الدكتور رمضان عبدالتواب، التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٩٠، ص١٠٠ . وانظر: ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة الدكتور أحمد مختار عمر، ص١٤١ .

٤٣- طه/ ١٣٥ .

٤٤- ابن خالويه، مختصر في شواذّ القرآن، ص٩١ .

٤٥- النور/ ٣٥ .

٤٦- ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص١٠٢ . وانظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص٢٦٢ .

٤٧- ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص٢٦٢ .

٤٨- مريم/ ٢٧ .

٤٩- ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن. ص٨٤ . وانظر: الصغاني، الشوارد في اللغة، تحقيق عدنان الدوري، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٣، ص١٦٤ .

٥٠- انظر مثلاً: الدكتور إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦١، ص١١، والدكتور غالب المطلب، في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربية،

منشورات وزارة الثقافة العراقية، بغداد، (د.ت) ص٤٣-٤٤.

٥١-برتيل مالمبرج، علم الأصوات، ترجمة الدكتور عبدالصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، (د.ت) ص٨١، وانظر: حديثاً موسعاً عن الحركات المزدوجة في كتاب الدكتور صلاح الدين حسنين، المدخل إلى علم الأصوات، دراسة مقارنة، دار الإتحاد العربي القاهرة، ١٩٨١، ص١٦٨-٢٠٢.

٥٢- ابن منظور، لسان العرب، (ورث) ٢/ ٢٠٠.

٥٣- المرجع السابق، (أرث) ٢/ ١١١.

٥٤- الأنعام/ ٧٤.

٥٥- الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، ٢/ ٢٩.

٥٦- ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص٣٨.

٥٧- ابن جني: المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات ١/ ٣٤٨ وابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص٦٥، وانظر: الصغاني، الشوارد في اللغة، ص١٥٧-١٥٨.

٥٨- يوسف/ ٧٦.

٥٩- بروكلمان، فقه اللغات السامية، ترجمة الدكتور رمضان عبدالتواب، منشورات جامعة الرياض، ١٩٧٧، ص٧٧.

٦٠- ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، ١/ ٣٤٨. وانظر الصغاني، الشوارد في اللغة، ص١٨٦.

٦١- النساء/ ١١٧.

٦٢- ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص٢٨.

٦٣- الزمر/ ٦٠.

٦٤- ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص١٣١.

٦٥- سبأ/ ٥٢.

٦٦- ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص٥٣٠، وانظر: مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن

وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ٢/٢٠٨، وابن خالويه: الحجة في القراءات السبع، ص٢٩٥.

٦٧- مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها ٢/٢٠٨، والرأي الدلالي هنا لابن خالويه، انظر الحجة في القراءات ٢٩٥.

٦٨- البقرة/١٦.

٦٩- ابن جني: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، ١/٥٥.

٧٠- الجمعة/٦ وانظر: ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص١٥٦.

٧١- المرسلات/١١

٧٢- ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص٦٦٦. وانظر ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص٣٦٠، ومختصر في شواذ القرآن، ص١٣١، وانظر أيضاً، برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، نشره الدكتور رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الرفاعي، الرياض، ١٩٨٢، ص٤٩، وقد حمل بروكلمان وبرجشتراسر مثل هذه الاستعمالات اللغوية على ظاهرة المخالفة، انظر أيضاً بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص٧٧.

٧٣- التكاثر/٦.

٧٤- ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص٨٤.

٧٥- انظر سيبويه، الكتاب، ٣/٥٤٦ وابن منظور، لسان العرب (رأي) ١٤/٢٩٣.

٧٦- البقرة/١٦٨.

٧٧- ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص١١.

٧٨- المرجع السابق، ص١٤٦.

٧٩- ابن منظور، لسان العرب، (ذوي) ١٤/٢٩١.

٨٠- ابن جني، المحتسب ٢/٤٢.

٨١- آل عمران، ١٨٦.

٨٢- مريم/٢٦.

٨٣- ابن جني، المحتسب ٢/٤٢، وابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص٨٤.

٨٤- ابن جني، المحتسب ٢/ ٤٢ .

٨٥- حركة الياء هنا تكون وفقاً للمحل الإعرابي، لأنها حركة إعراب.

٨٦- يونس/ ٥ .

٨٧- ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص١٨٠ .

٨٨- الأنبياء/ ٤٨ .

٨٩- ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص٤٢٩ .

٩٠- الكهف/ ٨٦ .

٩١- مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع، ٢/ ٧٣-٧٤.

٩٢- مريم/ ٢٣ .

٩٣- ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، ٢/ ٤٠ .

٩٤- المؤمنون/ ٩٣ .

٩٥- ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص٩٨ .

٩٦- البقرة/ ٤ .

٩٧- ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص٢ .

٩٨- يونس/ ١٦ .

٩٩- ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص٥٦ . وانظر: ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ١/ ٣٠٩ .

١٠٠-ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ١/ ٣٠٩.